الصندوق الأسود

محمود سالم

الصندوق الأسود

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

الصندوق الأسود

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٠ ٢٦٥٩ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
ماذا يريد «سادة العالم»؟	١١
«جاك بيلي» هل يكون واحدًا منهم؟	١٧
الرسالة تحدد صيد الحوت الأبيض!	٢٣
وبدأ صراع الأعماق!	٢٩
وأخيرًا ... بدأت المعركة الأخيرة!	٣٥
الصراع الأخير مع سمك القرش!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

ماذا يريد «سادة العالم»؟

كان الشياطين حول حمام السباحة الكبير في المقر السري يؤدُّون تمريناتِ الغطس، عندما أعلن المدرب الخاص أن مسابقةً سوف تُقام بين الشياطين الآن لمعرفة أيهم قد حقق الأرقام المطلوبة. حدَّد المدرب ترتيب الشياطين ليستعد كلٌّ منهم إلى مكان القفز، فوقف «عثمان» في البداية، ثم «هدى»، ثم «إلهام»، ثم «بو عمير»، ثم جاءت بقية الأسماء ... وكان «أحمد» قبل الأخير مباشرة، أما الأخير فكان «باسم».

تقدَّم «عثمان» إلى مكان القفز، في نفس الوقت الذي كان الشياطين يرقبون خطواتِه النشيطة ... وقف عند النقطة المحددة، واستعد في انتظار إشارة المدرب، مرَّت نصفُ دقيقة، ثم رفع المدرب يدَه، انحنى «عثمان» ثم شدَّ عضلاته وانطلق يجري عدة خطوات، ثم طار في الهواء فاتحًا ذراعَيه، وكأنه عصفور. وعندما أخذ طريقَه إلى الماء، دار حول نفسه دورتين، ثم بسط جسده الرشيق، وكأنه السيف، وشقَّ سطح الماء إلى العمق. كان جسده يبدو واضحًا تحت سطح الماء الشفاف، وظلَّ يشقُّه في طريقه إلى القاع، بينما كان المدرب يحسب الزمن، وعندما بدأ يشقُّ طريقَه إلى السطح كانت «هدى» تأخذ طريقَها إلى مكان القفز. ظهر «عثمان» على سطح الماء، ثم أخذ يسبح حتى خرج من الحمام. كانت قفزتُه قد حازت إعجاب الشياطين، فصفَّقوا له.

نظرت «هدى» إلى المدرب، في انتظار إشارته. وعندما أعطاها الإشارة، انطلقت تقطع الخطوات القليلة، ثم طارت في الهواء وقد تكوَّرت حول نفسها، وأخذت تدور في الهواء، وكأنها كرة. وعندما اقتربت من سطح الماء، بسطت جسدها ثم شقَّته إلى القاع، في نفس اللحظة دوَّى صوتٌ متقطع جعل الشياطين ينظرون إلى بعضهم، ثم إلى المدرب الذي وقف يُعلن انتهاء تدريب اليوم.

لم يكن الصوت المتقطع يعني نهايةَ التدريب، لكنه كان يعني أن رقم «صفر» يدعو الشياطين إلى اجتماع عاجل. وعندما كان الشياطين يستعدون للانصراف، كانت «هدى» قد خرجَت من الماء، وهي تنظر إليهم في دهشة، فلم تكن تعرف حتى هذه اللحظة ماذا حدث، لكنها بسرعة أخذت طريقَها في أعقابهم؛ فقد فهمت أن هناك شيئًا ما.

دخل الشياطين حجراتهم فأبدلوا ثيابهم، ولم تمضِ ربع ساعة، حتى كانوا يأخذون طريقَهم إلى قاعة الاجتماعات. في الطريق سألت «هدى»: ماذا هناك؟

قالت «إلهام» التي كانت قريبةً منها: إنه اجتماع سريع!

ظهرت الفرحة على وجه «هدى»، فلم تكن قد اشتركت في مغامرة منذ مدة، وهمست: لعلني أكون بين فريق المغامرة هذه المرة!

دخلوا الواحد بعد الآخر وأخذوا أماكنهم. كان «عثمان» يجلس في مكانه المعتاد بالقرب من «أحمد»، فابتسم قائلًا: كنت أنوي أن أفوز عليك هذه المرة!

قال «أحمد»: لا بأس، سوف نقفز مرةً أخرى، عندما نعود!

مرت لحظاتٌ، ثم أُضِيئت الخريطة الإليكترونية، غير أنه لم تكن هناك تفاصيل، لحظات ثم بدأت التفاصيل: المحيط الهادي، جزر اليابان، الصين، روسيا، كوريا. فجأةً، خرج سهم أحمر من بين مياه المحيط، ثم دار يرسم دائرة كاملة، وتحدد المكان بخط عرض ٢٤ درجة، وخط طول ١٤٠ درجة. في نفس الوقت، وداخل الدائرة ظهرت مجموعة من الجزر الصغيرة، ثم ظهر اسمها مجموعة جزر «كازان».

كان الشياطين يتابعون تفاصيل الخريطة التي تظهر واحدةً وراء واحدة، في نفس الوقت كانوا يفكرون في نوع المغامرة ومكانها بالتحديد، هل هو داخل واحدة من هذه الدول؟ أو أنه المحيط الهادي نفسه؟ أو أنه مجموعة جزر «كازان»؟

فجأة ظهرت طائرةٌ بلون أحمر، تأخذ طريقها فوق الخريطة، وهي تقطع الصين، متجهةً إلى بحر الصين الشرقي، ثم تتجاوز مجموعة جزر «ريوكيو»، لتدخل منطقة المحيط الهادي ... وعند مجموعة جرز «كازان»، تتوقف ثم تختفي.

فكَّر الشياطين: ماذا تعني هذه الطائرة؟ وماذا يعني خط سيرها؟ ولماذا اختفت؟ هل سقطت فوق المحيط؟ أم أنها سقطت فوق مجموعة الجزر؟

غير أن خطوات رقم «صفر» أوقفَت تفكيرهم؛ فقد اتجهت عيونُهم إلى مصدر الصوت، وتعلَّقت به، فبعد دقائق تأتيهم إجاباتُ كلِّ الأسئلة التي دارت في أذهانهم. توقَّفَت خطوات رقم «صفر»، ثم جاء صوتُه يُحيِّيهم. توقَّف لحظةً ثم قال: أنتم طبعًا فكَّرتم في التفاصيل

التي ظهرت أمامكم على الخريطة، وحتى لا يتوه بكم التفكير، نحن أمام سباقٍ مع الزمن. إن المنتصر في هذه المغامرة هو الذي يستغلُّ كلَّ لحظةٍ.

صمت قليلًا ثم أخذ يقلب مجموعةً من الأوراق أمامه، كان صوتها يصل إلى سَمْع الشياطين. أخيرًا قال: إن عدة تقارير جاءتنا من عملائنا في الصين، واليابان، وكوريا، هذه التقارير تقول: إن شخصية هامة كانت تستقلُّ طائرةً تقطع بها المحيط الهادي، في طريقها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وعندما تجاوزت الطائرة منطقة بحر الصين الشمالي، واقتربت من جزر «كازان»، انفجرت في الفضاء، وتناثرت في هذه المنطقة، واختفى طبعًا كلُّ مَن فيها. إن الطائرة خرجت من الصين في طريقها إلى أمريكا، لكنها لم تَصِل لأنها انفجرت.

سكت قليلًا، ثم أضاف: إن التقارير تقول أيضًا إن الطائرة لم تتعرض لأيِّ قصفٍ مدفعيٍّ أو صاروخي؛ فقبل أن تبدأ رحلتها كانت قد أخذت تصاريحَ بمرورها فوق الدول. وهذه قاعدة دولية، أي أن الطائرة لم تنفجر نتيجة مدفعية مضادة للطائرات، أو نتيجة طائرات مقاتلة أغارت عليها وأسقطَتها. إن الطائرة انفجرت نتيجة وجود قنبلة زمنية وُضعت فيها، وهذا هو الاحتمال الوحيد.

مرة أخرى صمت رقم «صفر». كان يقلب الأوراق التي أمامه، بينما كان الشياطين يركزون انتباههم لكلمات الزعيم، فهو عندما ينتهي منها سيكونون في الطريق إلى المغامرة، ما دامت المسألة مسألة زمن.

قال رقم «صفر»: إن انفجار الطائرة، سوف يؤدي إلى أزمة دولية، وقد يصل الأمر إلى صدامٍ بين القوتين الأعظم، فأنتم تعرفون الخلافات القائمة بين الصين وروسيا، وتعرفون أيضًا الاتفاقيات الأخيرة التي عُقدت بين أمريكا والصين، أي أن هناك جهةً ما لها مصلحة في قيام صدام بين القوتَين الأعظم.

نظر الشياطين إلى بعضهم عندما توقَّف رقم «صفر» عن الكلام، فهم يعرفون أن عصابة مثل «سادة العالم» يمكن أن تقوم بمثل هذا العمل، خصوصًا وأنها عصابةٌ ضخمة، لها فروع في شتى بقاع العالم. وعندما يحدث صدام بين القوتين الكبيرتين فإن عصابة «سادة العالم» سوف تجد متَّسعًا لتحقيق حلمها في حكم العالم.

قطع تفكيرَ الشياطين صوتُ رقم «صفر» يقول: إن الاتهامات متبادلة الآن بين القوتين الكبيرتين، فكل دولةٍ منهما تتهم الأخرى بأنها خلف انفجار الطائرة. روسيا، تقول إن اقتراب الصين وروسيا سوف يهدد أمريكا، وهي عندما تصنع مثل هذه الأزمة فإنها تقطع

أيَّ محاولة يمكن أن تتم للاقتراب بين روسيا والصين، خصوصًا وأن محاولاتٍ كانت قد بدأت فعلًا، وأمريكا تقول: إن روسيا خلف انفجار الطائرة، حتى تنسف العلاقات الجديدة التي بدأت فعلًا بين أمريكا والصين. هذه الاتهامات المتبادلة بين الدولتين يمكن أن تؤديَ إلى صدامٍ حقيقي، لا يعرف أحدٌ مداه، وإن كان المتصور فعلًا أنه سيكون صدامًا محدودًا إذا وقع؛ لأن الصدام النووي بينهما مستحيل؛ لأنه يعني نهاية العالم وفناءه!

صمت رقم «صفر»، كان الشياطين يفكرون فيما يجب أن يفعلوه؛ فمثل هذه الأزمة يمكن أن تؤديَ بالبشرية إلى نقطة النهاية، وأن القوتين الأعظم لا يمكن أن تفكِّر أيٌّ منهما في خلق مثل هذا الموقف، وأن «سادة العالم» هم الذين يقفون خلف الحادثة.

فجأةً قال رقم «صفر»: «الصندوق الأسود» ... ثم سكت.

نظر الشياطين إلى بعضهم، في نفس الوقت الذي ابتسم فيه «أحمد» لأنه فهم ماذا يقصد رقم «صفر».

لم تَطُل فترةُ صمتِ رقم «صفر»؛ فقد قال: إن ابتسامة «أحمد» تعني أنه فهم ما أريد أن أقول!

التفت الشياطين إلى «أحمد»، الذي قابلهم بابتسامة عريضة، فقال رقم «صفر»: إن «الصندوق الأسود» هو مغامرتنا الآن، إن العثور عليه يعني انتهاء هذه الأزمة، وتحديد فاعلها المؤكد، وهذا الصندوق ...

توقَّف قليلًا؛ فقد ابتسم الشياطين بعد أن فهموا ماذا يعني رقم «صفر»، الذي قال: ها أنتم قد عرفتم أن «الصندوق الأسود» تُسجَّل عليه كلُّ المكالمات المتبادلة بين الطائرة وبين المطارات أو الدول التي تمرُّ عليها، وهذا الصندوق ضد الاحتراق وضد الماء، فهو مصنوع بطريقة خاصة، والمؤكد أن الفاعل الأصلي في هذه الجريمة سوف يحاول الحصول عليه، ولهذا أقول لكم إن المسألة مسألة زمن. إن «سادة العالم» سوف يحاولون الوصول للصندوق الأسود، لأنه سوف يكشفهم، وإذا اختفى الصندوق نهائيًّا فسوف تظل الاتهامات بين الدولتين متبادلةً، وسوف يظلُّ احتمال الصدام قائمًا.

سكت قليلًا، ثم أضاف: إن الوصول إلى «الصندوق الأسود» يعني إنقاذ البشرية، وتفويت الفرصة على عصابة «سادة العالم»، التي انتصرتم عليها في مغامراتٍ سابقة. وحتى لا يضيع الوقت إنني في انتظار أسئلتكم بعد أن عرفتم مكان انفجار الطائرة، ومكان البحث عن الصندوق الهام.

انتظرَ رقم «صفر» قليلًا. كان الشياطين ينظرون إلى بعضهم، ولم تكن هناك أسئلة، فهم يعرفون الآن ما هو مطلوب منهم.

لم يسأل أحدٌ منهم، فقال رقم «صفر»: إن المجموعة المكلَّفة بالمغامرة هي: «أحمد»، و«باسم»، و«خالد»، و«بو عمير»، و«مصباح»، أتمنى لكم التوفيق.

عندما انسحبت خطوات رقم «صفر» مبتعدةً، كانت الخريطة الإليكترونية قد أُطفئَت، فأخذ الشياطين طريقهم للخروج من القاعة استعدادًا للانطلاق.

«جاك بيلي» هل يكون واحدًا منهم؟

هبطت الطائرة في مطار «سيول» عاصمة كوريا الجنوبية، وبسرعةٍ كان الشياطين يأخذون طريقهم إلى الخارج، إنهم لم يضيِّعوا وقتًا كما قال رقم «صفر»، فمَن يعثر على «الصندوق الأسود» يكسب الجولة كلها، والمؤكد كما عرف الشياطين أن أمريكا سوف تبحث عن الصندوق حتى تُبرِّئ نفسها، وكذلك سوف تفعل روسيا، أما «سادة العالم»، فسوف تحاول أن تعثر على الصندوق، حتى يظل الخلاف بين القوتين الأعظم قائمًا، ولذلك فعندما غادر الشياطين المقر السري ركبوا سيارتهم الصاروخية إلى المطار، واستقلوا الطائرة إلى مدينة «سيول»، كأول نقطة تحرُّك في مغامرتهم. وعندما وقفوا على الرصيف الخارجي للمطار كانت هناك سيارة تقف في مكان منعزل، فاتجهوا إليها، أخرج «أحمد» مفتاحًا خاصًّا، وضعه في باب السيارة فانفتح، وعندما أغلق آخر واحد فيهم الباب، جاءهم صوتٌ يُرحِّب بهم، لقد كان صوت عميل رقم «صفر» في كوريا.

قال: إن أماكنكم محجوزةٌ في طائرة الغد إلى مدينة «نجاساكي»، أتمنى لكم مغامرةً موفقة ...

انسحب صوت العميل، فابتسم الشياطين، لقد كانت هذه واحدة من أحدث السيارات، انضمت حديثًا إلى العمل، فهي تستطيع الاتصال بالعميل دون جهد، فليس فيها جهاز تليفون ... فعندما يُغلَق آخر باب فيها تخرج دائرة لاسلكية منها إلى حيث مقرُّ عميل رقم «صفر»، فيتم الاتصال مباشرةً. أما إذا أراد الشياطين الاتصال فعليهم أن يضغطوا زرًّا في التابلوه، فيتم فتح دائرة الاتصال مع مقر العميل. كان الشياطين يعرفون أين سيقضون الليل ... فندق السحاب.

لم يكن أحدٌ منهم يملك رغبةَ الحديث الآن، فقد لزموا جميعًا الصمت، غير أن «أحمد» قال: إن خطةَ تحرُّكِنا سوف تبدأ من مدينة «نجاساكي» اليابانية، والتي تقع في جزيرة

«كيوشو»، ومنها سوف يكون انطلاقنا إلى جزر «كازان» بحرًا، فهي تعتبر أقربَ نقطةٍ إلى المكان الذي سقطت فيه الطائرة، وهذه هي منطقة الصراع!

صمت لحظةً، ثم قال: إننا في حاجة إلى هيئة مختلفة نظهر بها؛ لأن المنطقة سوف تكون مزدحمةً بالكثيرين.

لم يردَّ أحدٌ بكلمة، فهم يعرفون كيف يفكِّر «أحمد»، مضت نصفُ ساعةٍ، عندما وصلوا إلى فندق السحاب، حيث وجدوا حجراتهم، لم يفعلوا شيئًا سوى أن اتجهوا إلى أَسِرَّتهم، واستغرقوا في النوم، لكنهم لم يناموا طويلًا، فقد ظهر النهار … فتح «أحمد» عينَيه ثم نظر في ساعة يده وابتسم، إن التوقيت مختلف. نظر في ساعة الحائط المعلقة أمامه، ثم أدار عقربَي ساعته، وضبط الساعة على التوقيت الجديد، وقبل أن يقفز من سريره كان بقية الشياطين قد وقفوا أمامه مستعدين للرحيل.

ابتسم «أحمد» قائلًا: كم الساعة الآن؟

ضحك الشياطين، وقال «باسم»: إن أمامنا ساعةً واحدة فقط على إقلاع الطائرة!

ابتسم «أحمد»؛ فقد عرف أن الشياطين يتصرفون التصرف الصحيح، فقد غيَّروا ساعاتهم على التوقيت الجديد. في دقائق، كانوا يغادرون الفندق إلى السيارة التي كانت في جراج الفندق، قفزوا فيها، وعندما أغلق «أحمد» الباب، وكان آخرَ مَن ركب، جاءهم صوتُ عميل رقم «صفر» يحمل لهم تحيةَ الصباح، ويتمنَّى لهم رحلةً موفقة إلى «نجاساكي»، ثم قال في النهاية: إن هناك أخبارًا جديدة في انتظاركم هناك.

شكره «أحمد» بينما كانت السيارة تأخذ طريقها إلى مطار «سيول»، الذي يقع خارج المدينة، كانت لا تزال هناك ربع ساعة، فاتجهوا إلى حيث تقع مكتبة لبيع جرائد اليوم. أخذوا عددًا منها، ثم اتجهوا إلى الصالة الداخلية، وما إن استقروا داخلها حتى جاء صوتُ مذيعةٍ المطار تدعو ركاب الطائرة المتجهة إلى «نجاساكي» … اتجهوا إلى الطائرة. وعندما أخذوا أماكنهم كان صوت انطلاقها يأتيهم، وعندما استقرت في طريقها، استغرقوا في قراءة الجرائد. كان حادث سقوط الطائرة هو مثار اهتمام الجرائد، فقد كانت كلُّ التعليقات تتحدث عن الطريقة الوحشية التي انفجرت بها الطائرة.

جانب آخر اهتمت به الجرائد، هو «الصندوق الأسود». تبادل الشياطين الجرائد دون تعليقات؛ فقد كان بعض الركاب يتحدثون في نفس الموضوع. ألقى «أحمد» نظرةً سريعة على الركاب، فلفت نظرَه أن أحدهم كان يُنصت باهتمامٍ شديد دون أن يشترك في الحديث. فكَّر: هل يمكن أن يكون واحدًا من عصابة «سادة العالم» في طريقه إلى هناك؟ أعاد نظرة

سريعة إلى الرجل. كان يريد أن يحفظ ملامحه جيِّدًا؛ فربما التقى به مرةً أخرى. بعد قليل مرَّت مضيفات الطائرة يُقدِّمنَ الطعام والشراب للركاب، فتناول الشياطين طعامهم في هدوء، ولم تكن أحاديثهم أو تعليقاتهم تدور حول الحادث الهام، لقد كانت شيئًا مختلفًا تمامًا. وعندما انتهت الرحلة ونزلوا في مطار «نجاساكي» أخذوا طريقهم بسرعة خارج المطار، حيث وجدوا سيارةً من نفس النوع في انتظارهم.

وما إن أغلقوا أبواب السيارة، حتى جاءهم صوتُ عميل رقم «صفر» في «نجاساكي» يرحب بهم، ثم قال: إن علميات البحث قد بدأت في النقطة «ن» حيث كانت نهاية الطائرة، وفِرَقُ البحث كثيرة. ولا أحد يستطيع أن يعرف مَن الذي يقوم بالبحث، وهذه مسألةٌ شائكة.

كانت السيارة منطلقةً في الطريق إلى عميل رقم «صفر»، الذي أكمل يقول: إن لنشًا صاروخيًّا سيكون في انتظاركم عند النقطة «ق»، وهو مجهَّزٌ بكلِّ شيءٍ. صمت لحظةً ثم قال: إن فندق «السلام» الذي ستنزلون فيه حتى الليل في انتظاركم، وقد اختار رقم «صفر» أن يكون موعد تحرككم في الليل، مع بقاء حجراتكم في الفندق، حتى لا يلفت تحرُّكُكم نظرَ أحدٍ، في النهاية تمنَّى لهم وقتًا طيِّبًا، ومغامرةً موفَّقة. عرف الشياطين أن هذه هي كلُّ الأخبار التي كانت تنتظرهم …

وما إن وصلوا إلى فندق «السلام» حتى أخذوا طريقهم إلى حجراتهم، غير أن «أحمد» لفت نظرَه شيءٌ، لقد رأى الرجل الذي كان في الطائرة يقف عند مكتب استعلامات الفندق، لم يتوقف، فقد اتجه مباشرةً إلى مكتب الاستعلامات، حيث كان الرجل يملأ استمارة الفندق، ألقى نظرةً سريعة على الاستمارة دون أن يلفت النظر، في الوقت الذي سأل فيه موظف الاستعلامات عن الطائرات الداخلية … نظر له الرجل نظرةً سريعة، ثم استمر في ملْء الاستمارة، وقرأ «أحمد» اسم الرجل: «جاك بيلي»، ومدة الإقامة: عشرة أيام، والمهنة: رجل أعمال … شكر موظف الاستعلامات الذي أجاب عن سؤاله ثم انصرف.

اتجه إلى حجرته، حيث وجد الشياطين هناك، فقال لهم: إن «جاك بيلي» شخصية لافتة للنظر!

ظهرت عليهم الدهشة، فسأله «بو عمير»: مَن هو «جاك بيلي» هذا؟

ابتسم «أحمد» وقال: رجل الطائرة!

ومرةً أخرى، ظهرت الدهشة على وجوههم، وسأل «باسم»: أي طائرة؟ ثم فجأة، انفجر في الضحك، وهو يقول: هل اكتشفتَ أحدهم خلال الرحلة؟!

ضحك الشياطين، فشرح لهم «أحمد» ما فكَّر فيه منذ أن رأى الرجل يستمع باهتمام. وفي نهاية حديثه قال: أليست القاعدة أن السفر هو وسيلةٌ لجمع المعلومات؟

سأل «خالد»: وكيف تستفيد من الرجل؟

قال «أحمد»: إنه ينزل في الحجرة رقم «٨٠٣»، وهي تقع في نهاية الممر، وهذا يعطينا فرصةً لمراقبته طوال هذه الساعات، فلعله يكون بداية الخيط!

أخرج «أحمد» جهاز الاستقبال، ثم بدأ يُدير موجاته في حرصٍ، غير أنه لم يستطع التقاطَ شيءٍ، إلا أن ذلك لم يمنعه من تأجيل البحث بعض الوقت.

قال «خالد»: إن أمامنا ساعاتٍ طويلةً حتى ينزل الليل وتأتي ساعة الرحيل، أقترح أن نستفيد من ذلك الوقت. سوف أنزل أنا و«مصباح» إلى كافتيريا الفندق؛ فقد يكون الحظ حليفنا. إن «نجاساكي» هي أقرب نقطة إلى منطقة الصراع الآن، وهذا يعني أن هناك احتمالاتٍ قويةً لمعرفةِ أيِّ شيء!

مرَّت لحظة قبل أن يقول «أحمد»: فكرة طيبة، وسوف أظل هنا لمراقبة صديقنا «جاك بيلي»!

قال «بو عمير»: إذن علينا أنا و«باسم» أن نتجول في أماكن الفندق، المطعم أو غيره؛ فربما نستفيد من جولتنا.

وفي دقائق كان «خالد» و«مصباح» قد انصرفَا، وبعد لحظاتٍ انصرف «بو عمير» و«باسم»، وبقيَ «أحمد» في الحجرة وحده. فكَّر قليلًا، ثم قال: إن حمَّامًا باردًا الآن يمكن أن يجدد نشاطي، فأمامنا ليلٌ طويل، يمكن أن يكون مليئًا بالمصاعب، وهذه فرصة في نفس الوقت هي فرصة أيضًا لأعطيَ لصديقنا «جاك بيلي» بعضَ الوقت، لكنه مع ذلك لم يتحرك مباشرة؛ فقد مدَّ يده إلى الجهاز، وأخذ يُدير مؤشر الموجات، لكنه مع ذلك لم يتوصل إلى شيء. أغلق الجهاز، ثم اتجه إلى الحمام، وعندما فَتَح «الدُّش»، سمع صفارة تصدر عن الجهاز، فعرف أنه يستقبل رسالة، يختزنها في ذاكرته حتى يعود «أحمد» إليه.

انتهى من حمَّامه، فاتجه إلى الجهاز بسرعة، وبدأ في تشغيل الذاكرة، وكانت رسالةً شفرية: «٥ – ١ – ٢٢» وقفة: «٢٤ – ٢٦ – ٥ – ٢٦ – ٨»، انتهت.

وكانت ترجمة الرسالة: جاك موجود.

عرف «أحمد» أن الشياطين يريدون منه أن يوفر وقتَه، فلا يستخدم الجهاز بحثًا عن شيء ما دام «جاك بيلي» يجلس في الكافتيريا.

ارتدى ثيابه بينما كان يفكر: إن «جاك بيلي» بريء إذن مما فكرت فيه. ثم هز رأسه، وهمس لنفسه: خسارة، كنت أتمنى أن يكون بداية شيء! غير أنه فكر مرَّة أخرى: إن

المنطقة التي نحن فيها الآن تشهد محاولات كثيرة، من المؤكد أن هناك رسائلَ متبادلةً، سواء بين فِرَق بحث الأمريكيين أو السوفييت، أو عصابة «سادة العالم». وعملية البحث الآن يمكن أن تكون لها نتيجة، خصوصًا وأن الوقت لا يزال ممتدًّا.

جلس إلى الجهاز، ثم بدأ يُدير مؤشر الموجات. فجأة، ارتفعت صفارة خافتة، نظر إلى الجهاز، فكان يستقبل رسالة، قرأها بسرعة: «٥ – ١ – ٢٢» وقفة «١٤ – ١٨ – ٨» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٩» وقفة «٦ – ٢ – ١٠ – ٣ – ٢٧» انتهت. وكانت ترجمة الرسالة: «جاك» صعد إلى حجرته. ابتسم قائلًا: هل يلعب الحظ معنا؟ انتظر قليلًا، ثم أدار مؤشر الجهاز، وفجأة، لمعت عيناه، وهو يبتسم ابتسامة عريضة، لقد كانت رسالةً متبادلة بين جهتين.

الرسالة تحدد صيد الحوت الأبيض!

استطاع «أحمد» أن يرصد الرسالة الأولى، حوَّلها على ذاكرة الجهاز، وعندما انتهى انتظر حتى بدأت الرسالة الثانية، فحولها هي الأخرى على ذاكرة الجهاز، وعندما انتهت انتظر قليلًا، لعل هناك رسائل أخرى، لكنه لم يسمع شيئًا، فضغط زرًّا في الجهاز، ثم بدأ يستمع إلى الرسالة الأولى، وكانت رسالةً شفرية. توقَّف كثيرًا أمام مفرداتها، لكنه لم يصل معها إلى نتيجة، استمع إلى الرسالة الثانية، لكنه أيضًا لم يفهم منها شيئًا، كانت مرسلةً بطريقة الشفرة أيضًا، لكنها شفرة مختلفة عن الأولى، قال في نفسه: إنهم يستخدمون شفرتَين في وقت واحد!

فكر قليلًا ثم قال لنفسه: ينبغي إرسال الرسالتَين إلى رقم «صفر» حتى يقومَ قسمُ الشفرة بحلِّ رموزها. وبسرعةٍ بدأ يُرسل الرسالتَين إلى المقر السري، لكنه فجأةً توقَّف، لقد سجَّل الجهاز أن هناك جهةً ما تقوم باستقبال الرسالة. ضغط زرَّ الجهاز فتوقف، فكر قليلًا: إن هناك جهة تسجِّل الرسائل اللاسلكية، وكان يجب أن أفكر في ذلك، فنحن في منطقة مزدحمة بنشاط جهات كثيرة، وكلٌّ منها تريد أن تعرف لأنها كلَّها تشكُّ في بعضها.

فكر «أحمد»؛ ما الذي يمكن أن يفعله الآن وهو يحتاج إلى معرفة الرسالتَين؟ قال في نفسه: يجب أن ينقل أحد الشياطين الرسالتين إلى عميل رقم «صفر» ليقوم هو بإرسالهما إلى المقر السري.

وبسرعة تحرَّك لكنه توقَّف عند الباب، لقد تذكَّر «جاك بيلي»، فعاد بسرعة إلى الجهاز، وبدأ يحرِّك مؤشر الموجات في بطء، لعله يلتقط شيئًا آخر، فجأةً توقَّف الجهاز، وبدأ يسجِّل رسالةً، قال في نفسه: يجب استدعاء أحد الشياطين الآن، وبسرعة!

انتظر حتى انتهت الرسالة التي نقلَتها ذاكرة الجهاز، وظلَّ يرقبه لعله يسجِّل ردًّا عليها، إلا أن الدقائق مرَّت دون تسجيل شيء ما. أسرع يُرسل رسالةً إلى الشياطين لاستدعائهم، ولم تمرَّ دقائق حتى كان «خالد» و«مصباح» يدخلان الحجرة.

سأل «أحمد»: وأين «باسم» و«بو عمير»؟

ردَّ «خالد»: لقد خرجَا في مهمة، ويبدو أن أمامهما صيدًا طيبًا!

قال «أحمد»: لا بأس! وأرجو ألَّا يتورطَا في مغامرةٍ تؤخر رحلتنا إلى جزر «كازان»!

سكت لحظةً ثم بدأ يشرح لهما ما حدث، وما يجب أن يحدث الآن.

وعندما انتهى من كلامه قال «بو عمير»: أقوم أنا بتوصيل الرسالتين إلى عميل رقم «صفر». سكت لحظة ثم أضاف، لكننا لا نعرف مقرَّه هنا!

وقف «أحمد» فجأةً، ثم قال: سوف أقوم أنا بالمهمة، عليكما باستعمال الجهاز؛ فقد تسجَّلَا شيئًا جديدًا، إن أمامنا ثلاث رسائل لا نعرف ماذا فيها. وعندما يأتينا الحلُّ من قسم الشفرة في المقر السري نكون قد خطَونا خطوةً طيبة في مغامرتنا!

وفي لحظة كان خارجًا من الباب، ركب المصعد ونزل، وعندما كان يخطو خارجه شاهد «جاك بيلي»، علَت الدهشةُ وجهَه؛ فقد أخبره الشياطين أن «جاك بيلي» صعد إلى حجرته، فهل يمكن أن يكون قد نزل مرَّة أخرى؟ وهل تكون هناك خدعة ما. فكر بسرعة: هل يعود إلى الشياطين يُخبرهم بمراقبة حجرة «جاك بيلي»، أو يستمر في طريقه إلى الخارج؟ ألقى نظرةً سريعة على «جاك بيلي»، كان الرجل يأخذ طريقه إلى الكافيتريا، قال «أحمد» في نفسه: لا بأس، إن المهمة لن تستغرق دقائق!

أسرع إلى الخارج واتجه إلى السيارة مباشرة، ركبها، وعندما أغلق الباب جاءه صوت عميل رقم «صفر»: لعل هناك مشكلةً ما!

قال «أحمد»: النقطة «ل»!

أدار محرك السيارة، ثم انطلق إلى النقطة التي حددها، وعندما وصل إلى هناك رأى سيارة مشابهةً للسيارة التي يركبها تقف على جانب الطريق، أسرع في اتجاهها حتى توقَّف خلفها تمامًا، نزل وهو يُمسك في يده بمظروف صغير، ثم اتجه إلى سيارة العميل الذي فتح له الباب، دخل «أحمد» بسرعة، ثم أغلقه.

قدَّم المظروف إلى العميل، وهو يقول: هذه ثلاث رسائل شفرية التقطناها، ولا بد من إرسالها إلى الزعيم، مع ملاحظة أن الجهاز قد سجَّل محاولات لالتقاطِ أيِّ رسائل تُرسل عن طريق أجهزة الإرسال!

ابتسم العميل وقال: لا بأس، هذه مسألة سهلة، هل هناك شيءٌ آخر؟

شكره «أحمد»، ونزل من السيارة مباشرة، متجهًا إلى سيارته، فركبها وانطلق عائدًا إلى الفندق، دخل فاتجهت عيناه إلى الكافيتريا باحثًا عن «جاك بيلي»، الذي كان يجلس وهو يحتسي القهوة.

أسرع إلى حجرته فوجد «خالد»، و«مصباح»، سألهما إن كانَا قد سجَّلَا شيئًا.

فأجاب «خالد»: لا شيء حتى الآن!

فكر «أحمد» لحظةً ثم سأل: أريد أن أتأكد من أن «جاك بيلي» لا يزال في حجرته!

ابتسم «مصباح» وقال: مسألة سهلة. وقف وأضاف بعد لحظة: سوف تعرف! أسرع خارجًا من الحجرة.

وعندما اختفى، قال «أحمد»: لقد رأيت «جاك بيلي» في الكافيتريا!

علَت الدهشةُ وجهَ «خالد»، وقال: كيف؟! لقد صعد أمامنا إلى حجرته!

فكر «أحمد» قليلًا ثم قال: يبدو أن هناك خدعة ما!

سأل «خالد»: كيف؟

لم يردَّ «أحمد» مباشرة. فقال «خالد»: شبيهان!

قال «أحمد»: ربما تكون خدعة! سكت لحظة ثم أضاف: لاحِظ أننا في حالة صراع عالمي، وقد يكون «جاك بيلي» أحد رجال العصابة، وقد يكون أمريكيًّا أو روسيًّا.

قال «خالد»: إن اسمه لا يدل على ذلك!

قال «أحمد»: الاسم يمكن تغييره في أي وقت، تمامًا كالأوراق الرسمية المزورة، التي يحملها رجال العصابات والمخابرات!

فجأة دخل «مصباح» مبتسمًا، وهو يقول: إنه في الحجرة!

علَت الدهشةُ وجهَ أحمد و«خالد»، حتى إن «مصباح» تساءل: ماذا هناك؟

قال «أحمد» وكأنه يهمس: إن شبيهًا له يجلس في الكافيتريا الآن!

اتسعت عينَا «مصباح» دهشةً وقال: لا يمكن!

فقال «أحمد»: تستطيع أن تتأكد من ذلك.

في لمح البصر كان «مصباح» قد اختفى. مرت لحظةٌ قبل أن يقول «خالد»: لقد تأخر «باسم» و«بو عمير» ولم يُرسلَا رسالة!

قال «أحمد»: لا بد أنهما فكرَا جيدًا قبل أن يُقدِمَا على خطوة إرسال رسالة؛ لأن أجهزة كثيرة الآن تسجِّل كلَّ ما يمكن أن يحمله الهواء!

صمت الاثنان وانتظرَا عودة «مصباح». كان «أحمد» يفكر: هل هي مصادفة أم أنها خدعة مقصودة؟! لكن لماذا؟

فجأة دخل «مصباح» وهو يكاد يقع من الدهشة، وقال: إن «جاك بيلي» يجلس في الكافيتريا فعلًا، مع أني عدت إلى حجرته مرة أخرى وتأكدت من وجوده!

ظل الثلاثة جالسين في حالة صمت. إن الموقف قد تعقَّد الآن، هل يستمرون في مراقبة «جاك بيلي»؟ وهل «جاك بيلي» له علاقة بمغامرة «الصندوق الأسود»، أم أن هذه مغامرة أخرى؟

مدَّ «أحمد» يدَه إلى جهاز الاستقبال، وأخذ يُدير المؤشر وهو شارد، كان يفكر حتى يتخذ قراره. فجأةً، علَت الدهشةُ وجهَه. إن الموجة التي تستقبل الرسالة موجةٌ غريبة، والرسالة تحمل مفردات شفرة الشياطين! كانت الرسالة: «٢٤ – ٢٥» وقفة «١٣» وقفة «١٣» وقفة «١٢ – ٢٦ – ٢٠٢» وقفة «٢٥ – ٣ – ٥ – ٢٧» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٩» وقفة «٢٥ – ٢١ – ١٦–٢٧» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٣ – ٢١ – ١ – ١» وقفة «٢٠ – ٢٩» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٤ – ٢٦ – ١٨ – ٨» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٤ – ٦– ٨ – ٨» وقفة «٢٧ – ٢٥ – ١ – ٢٢» وقفة «١ – ٧ – ٢ – ١ – ١٠» انتهى.

وكانت ترجمة الرسالة: «من ش إلى ش، سوف تتجه إلى نقطة اللقاء في الموعد المحدد، هناك أخبار.»

نقل «أحمد» ترجمةَ الرسالة إلى «خالد»، و«مصباح»، وهو يقول: لقد تصرف «باسم» و«بو عمير» تصرُّفًا ممتازًا، فهذه موجة غريبة، ومن الصعب أن يلتقطها أحد، سكت لحظة ثم أضاف: لا بد أن لديهما أخبارًا هامَّة، وإلا ما أرسلَا هذه الرسالة!

نظر في ساعته، ثم قال: لا بأس، سوف يكون قرارُنا أن نُكملَ مغامرتنا حسب الخطة التي اتفقنا عليها، ولن نجعل وجود «جاك بيلي» في حسابنا؛ لأن هناك احتمالًا ألَّا يكون له أيُّ علاقة بـ «الصندوق الأسود!»

قال «خالد»: وقد يكون!

فكر «أحمد» قليلًا، ثم قال: إذن، نطرح القضية للمناقشة!

بدأ «خالد» الكلام فشرح وجهة نظره، وعندما انتهى تحدَّث «مصباح»، وفي النهاية تحدَّث «أحمد»، واتفقوا أخيرًا على أن يراقبوا «جاك بيلي» حتى يحين موعد الرحيل، فإذا لم يتوصلوا إلى شيء شرحوا الموقف لعميل رقم «صفر»، وتركوا له المسألة. كانت المراقبة أن ينزل «خالد» إلى الكافيتريا ليكون قريبًا من «جاك بيلي» الجالس هناك، وتكون مهمة

«مصباح» أن يتأكد باستمرار من وجود «جاك بيلي» الآخر في حجرته، أما «أحمد» فمهمته هي البحث عن رسائل من خلال الجهاز.

انصرف «خالد» و«مصباح»، وبقي «أحمد» الذي استغرق في تفكير عميق. إن الأخبار التي يحملها الآن «بو عمير» و«باسم» قد تكون بداية، والرسائل التي أُرسِلَت إلى رقم «صفر» قد تكون البداية أيضًا. «جاك بيلي» قد يكون هو الآخر بداية، ولو تجمعت كلُّ هذه المعلومات تحت أيديهم، فإنهم يكونون قد اختصروا وقتًا طويلًا.

فجأةً أضاء الجهاز، فعرف أن هناك رسالة من العميل، قالت الرسالة كلمة واحدة: «نصف!» نظر في ساعة يده وفكر: يبدو أن قسم الشفرة في المقر السري قد أرسل الرسائل. ابتسم ابتسامة هادئة، ثم أخذ يُدير الجهاز، لكن لم تكن هناك رسائل، مضى الوقت سريعًا حتى جاء موعد العميل، نزل بسرعة فالتقى بـ «مصباح» قريبًا من الحجرة، أخبره أنه في الطريق إلى لقاء العميل، أسرع يغادر الفندق، ثم ركب السيارة، وعندما أغلق الباب، جاءه صوتُ عميل رقم «صفر»: نفس المكان!

اتجه إلى نفس المكان، الذي التقيَا فيه، وصل إلى هناك، كانت سيارة العميل هناك، نزل وأسرع إليها، فتح العميل الباب، ثم قدَّم له مظروفًا مغلقًا.

قال «أحمد»: انتظر مهمة قريبة.

ثم انصرف.

ركب السيارة، واتجه إلى الفندق مباشرة، وعندما دخله لم يرَ «خالد»، ألقى نظرة على الكافتيريا، فلم يرَ «جاك بيلي»، أسرع إلى حجرته، وما إن دخلها حتى وجد رسالة، فتحها بسرعة وقرأ، كانت الرسالة من «خالد» و«مصباح»: «خرج «بيلي١» و«بيلي٢»، فتبعناهما، إذا تأخرنا فسوف نلتقي في نقطة اللقاء، في الموعد المحدد!»

ابتسم وهو يقول: لقد خرجوا جميعًا، ولا أدري ماذا يمكن أن يحدث!

فتح المظروف الذي سلَّمه إليه عميل رقم «صفر»، فوجد الرسائل الثلاث. كانت مرتبةً حسب معلوماتها، كانت الرسالة الأولى تقول: «الفوج السياحي يصل غدًا ... المهرجان في الجزيرة يستمر حتى النهاية!» ابتسم فقد استطاع أن يحدد بسرعة مصدر هذه الرسالة. قرأ الثانية، وكانت تقول: «لا بد من صيد الحوت الأبيض قبل أن يغيِّر اتجاهه.» ابتسم للمرة الثانية، فقد عرف أيضًا مصدر الرسالة الثانية. أما الثالثة فكانت تقول: «سمَك التونة كثير، ولا بد من تعبئته في عُلَب، حتى نقدِّمَه في الاحتفال!» هذه المرة لم يبتسم «أحمد»، فقد استغرق في ضحكة عالية، لم يستطع أن يكتمها؛ لأن الرسائل الثلاث أكدت كل ما فكر فيه من قبل.

وبدأ صراع الأعماق!

ظل «أحمد» في انتظار رسائل، إلا أنه لم يعثر على شيء، كان الوقت يمرُّ ببطء، وكان ينتظر رسائل من الشياطين، إلا أن أحدًا منهم لم يُرسل شيئًا. وعندما حان وقت الرحيل إلى النقطة «ق»، أسرع يُجمع أشياءَه، ونظر حوله يتطلع المكان حتى يتأكد من أنه لم ينسَ شيئًا. وفي لمح البصر كان يأخذ طريقه إلى خارج الفندق، حيث كانت السيارة، وما إن أغلق الباب حتى جاءه صوت العميل: أتمنى لك رحلةً موفقة، ومغامرةً ناجحة.

ضغط «أحمد» زرًّا في التابلوه، ثم قال: «خمس دقائق!»

لم يردَّ العميل، فاتجه «أحمد» إلى نفس المكان الذي يلتقيان فيه. وعندما وصل إلى هناك كانت سيارة العميل في انتظاره. ما إن وقف خلفها حتى أسرع العميل إليه. فتح «أحمد» الباب فدخل العميل بسرعة، وأغلق الباب خلفه.

قال «أحمد»: إن هناك شخصية قابلتها في الطائرة من «سيول»، إلى «نجاساكي»، ثم نزلت في أوتيل «السلام» حيث نزلنا، وعرفت أن هذه الشخصية اسمها «جاك بيلي». والغريب أننا اكتشفنا شخصية أخرى مطابقةً لها تمامًا، إنهما شبيهان حتى إنك لا تستطيع أن تفرِّق واحدة عن الأخرى، وكلاهما غامض، والزملاء الآن في مراقبتهما، لكننا سوف نضطر إلى الرحيل إلى النقطة «ن» دون أن نتوصل إلى شيء عن أيٍّ من هاتين الشخصيتين.

إن عليكم مراقبة هذه الشخصية المكررة «جاك بيلي»؛ فإما أن يكون له علاقة بمغامرتنا، وإما أن يكون بدايةَ خيطٍ لعملية أخرى.

سكت «أحمد»، فقال العميل: استمروا في رحلتكم، وسوف يكون لي اتصال بالزعيم بشأن هذه الشخصية، فإما أُرسل لكلٍّ، إذا كانت لها علاقةٌ بمغامرة «الصندوق الأسود»، وإما سوف تجدون كل شيءٍ عنها عندما تعودون. أتمنى لكم التوفيق!

نزل العميل بسرعة، وأغلق الباب خلفه، فانطلق «أحمد» بالسيارة إلى النقطة «ق»، حيث يوجد اللنش الصاروخي، وحيث يتجمع الشياطين. كانت النقطة «ق» تقع على بحر الصين الشرقي، وعندما وصل إلى هناك لم يرَ الشياطين، لكن اللنش الصاروخي كان يقف في المكان المحدد. أوقف السيارة ثم نزل، وقفز إلى اللنش، وعندما حدَّق ببصره قليلًا رأى الشياطين يجلسون داخل اللنش، ابتسم ابتسامة هادئة ثم نزل إليهم.

قال «باسم»: سوف أتولَّى القيادة!

ثم أخذ طريقه إلى مكان القيادة.

في نفس الوقت رأى الشياطين إشارة ضوئية من السيارة، فعرفوا أن أحد العاملين مع عميل رقم «صفر» قد وصل ليعود بالسيارة إلى حيث مقرُّ العميل. لحظة ثم انطلق اللنش الصاروخي، إن خطة انطلاقه محددة، فهو سوف يخرج من بحر الصين الشرقي إلى المحيط الهادي، حيث تقع جزر «كازان»، وتقع نقطة «ن»، حيث تدور عمليات البحث. كان اللنش ينطلق هناك بسرعة هائلة.

فكر «أحمد» قليلًا ثم قال: إن سرعة اللنش يمكن أن تكشفنا، ولاحظوا أن المنطقة مليئة بعمليات البحث ... إنني أقترح أن ننزل إلى الأعماق.

ردَّ «بو عمير»: إن المسافة كبيرة حتى نصل إلى النقطة «ن»؛ ولهذا ينبغي أن نُسرع حتى نقترب من هناك، وساعتها يمكن أن ننزل!

هزَّ «أحمد» رأسَه موافقًا.

إلا أن «مصباح» قال: ينبغي أن نُقسم أنفسنا إلى مجموعتين تتناوب العمل، فعندما نصل إلى نقطة «ن» سوف نكون في حاجة إلى عمل كثير، ويجب أن نكون على استعداد لذلك!

قسَّم الشياطين أنفسهم إلى مجموعتين فعلًا؛ مجموعة ضمَّت «باسم» و«خالد» معًا، ومجموعة ضمَّت «بو عمير» و«مصباح»، وأصبح «أحمد» حرًّا، يمكن الاستعانة به مع أيٍّ من المجموعتين، غير أن الوقت لم يكن قد تأخر حتى تُسرع المجموعة الخالية من العمل إلى النوم؛ ولهذا فقد كان على «بو عمير» أن يشرح للشياطين المهمة التي خرج لها هو و«باسم»، على أن يقدِّم «خالد» تقريرَه إلى الشياطين عن مهمة مراقبة «جاك بيلي».

سأل «أحمد»: ما هي أخبار المهمة؟

قال «بو عمير»: لقد اشتبهنا في أحد البحارة، دخل فندق «السلام» بسرعة، ثم انحنى على أحد النزلاء، وهمس في أُذُنه بكلام قليل، جعل الرجل يقفز من مكانه ثم يتبعه مباشرة.

كانت تصرفات الرجلين تدعو للريبة، ففكرنا أن نتبعه، إن وجود بحار في الموقف يمكن أن يلفت النظر!

صمت قليلًا، بينما كان الشياطين يستمعون إليه. في نفس الوقت كان «باسم» الجالس إلى عجلة القيادة يسمع ما يُقال، حتى إنه أضاف: إن البحار كانت تبدو على وجهه ملامحُ الشر، وكأنه مجرم قديم، حفر الإجرامُ معالَمه على وجهه، وكان يتلفت حوله كثيرًا في شكٍّ، وكأنه يخشى شيئًا ما، وصمت «باسم».

فقال «بو عمير»: عندما تبعناهما إلى خارج الفندق كانت هناك سيارة في انتظارهما، رَكِباها وانطلقَا، ولم يكن أمامنا إلا الاستعانة بتاكسي كان قريبًا، ظللنا نتبعهما وقد أفادنا السائق؛ فقد ذكر أنه أوصل الرجل الآخر أكثر من مرة طوال اليومين السابقين، وأنهما سارَا في نفس الاتجاه ... ونزل عند بيتٍ منعزل خارج المدينة قرب الشاطئ ... وعندما عرض عليه أن يوصله إلى هناك اعتذر الرجل، وقال إنه لن يذهب إلى هناك.

سكت «بو عمير» لحظةً؛ فقد أضاء اللنشَ ضوءٌ قويٌّ، جعل «باسم» يقول بسرعة: هناك شيءٌ ما أمامنا.

أسرع الشياطين إلى «باسم». كان هناك مصدر ضوء قوي يكاد يؤذي أبصارهم.

همس «أحمد» بسرعة: لا تستخدم شيئًا، حتى لا نكشف أنفسنا.

أبطأ «باسم» سرعةَ اللنش في الوقت الذي كان مصدر الضوء يقترب بسرعة. لم يكن الشياطين يرَون شيئًا إلا بقعةَ ضوءٍ واسعة. فجأة جاء صوت يقول: قف عندك!

نظر الشياطين إلى بعضهم، وأوقف «باسم» اللنش، واستعد الشياطين لأي مهمة طارئة، مدَّ «أحمد» يده إلى تابلوه في المقدمة، وفتحه، ثم أخرج عدة أوراق، مرَّ عليها بعينَيه في سرعة، ثم ابتسم وأعادها إلى مكانها.

لحظات، ثم اقترب لنش ضخم، وجاء صوت يقول: مَن أنتم؟

كان الصوت يأتي ضعيفًا. عندئذٍ فتح «أحمد» إحدى النوافذ، بينما كان الشياطين ينظرون إليه، ثم همس: البحرية اليابانية!

رد الصوت: هل لديكم ما يُثبت ذلك؟

مدَّ «أحمد» يدَه إلى التابلوه، ثم أخرج ورقةً، ومدَّ يدَه بها في اتجاه اللنش.

قال رجل: هل تسمح لي؟

ثم قفز من اللنش إلى الشياطين، وأمسك بالورقة قرأها بسرعة، ثم قال: لا بأس!

عاد مرة أخرى من حيث جاء، فأغلق «أحمد» النافذة، وانطلق «باسم».

قال «بو عمير»: يبدو أن الحراسة مشددة في هذه المنطقة.

ردَّ «أحمد»: من الضروري أن يحدث هذا!

عاد الشياطين إلى أماكنهم، في الوقت الذي قال فيه «أحمد»: سوف نَلْقَى مثل هذه الدوريات كثيرًا!

نظر إلى «بو عمير» وقال: وماذا حدث بعد ذلك؟

قال «بو عمير»: لقد أوصلنا السائق إلى نفس المكان قرب البيت المنعزل ثم عاد. اقتربنا في حذر؛ فقد كانت السيارة التي أقلَّت الرجلين واقفة هناك. أرسلنا فراشة استطلاع، واستمعنا إلى ما يدور داخل المنزل، كان الكلام غامضًا، لكنه يُشير إلى عمليات بحث ... وغرفة عمليات، وزعيم، وجزر «كازان»، وتحرك عند منتصف الليل.

كان «أحمد» يبدو شديد الاهتمام، عندما بدأ «بو عمير» يشير إلى هذا البيت المنعزل؛ ولذلك قال: هذا رائع ... ثم ماذا؟!

أكمل «بو عمير»: تحركت السيارة عائدة بعد ذلك، ولم يكن بها سوى السائق، ظللنا في مكاننا، لكن الوقت لم يكن يسمح بمزيد من الانتظار، خصوصًا وأننا كنا سنعود مشيًا، حتى نجد تاكسيًا يُقِلُّنا إلى النقطة «ق» في الوعد المحدد!

استغرق «أحمد» في التفكير قليلًا، ثم سأل: المهم، أنتما تذكران الرجلَين جيدًا، فقد يُفيدنا هذا إذا التقينا بهما مرَّة أخرى!

ابتسم «باسم» وقال: إنني أستطيع أن أرسمها من الذاكرة!

لم يكَد «باسم» ينتهي من جملته، حتى ارتجَّ اللنش بشدة، فنظر الشياطين إلى بعضهم، وهمس «خالد»: يبدو أن المتاعب سوف تبدأ!

قال «مصباح»: إن الأعماق هي الأخرى تغلي بصراع شديد!

لكن برغم ارتجاج لنش الشياطين، إلا أن «باسم» لم يهدئ السرعة، بل إنه رفعها أكثر، فكاد اللنش أن يطير فوق سطح ماء المحيط، فجأةً لمح «مصباح» علامة تتحرك على شاشة الرادار الصغيرة، فقال: إن هناك جسمًا غريبًا يتحرك ناحيتنا، وأشار إلى الشاشة فاتجهت أعين الشياطين إليها.

قال «بو عمير»: إننا أصبحنا هدفًا، حتى قبل أن ندخل الصراع.

ظل الشياطين يرقبون علامة الرادار، فقال «أحمد»: ينبغي أن نُطلق صاروخًا مائيًّا يفجر هذا الجسم الذي يتبعنا!

أسرع «مصباح» إلى جهاز الإطلاق، ثم حدد عن طريقه اتجاهًا، وضغط زرًّا في الجهاز، فانطلق صاروخ مائي كان الرادار قد كشفه.

ظل الشياطين يرقبون حركة الصاروخ وهي في طريقها إلى الجسم الغريب، ثم فجأة ارتج الماء بعنف، واختفى تمامًا ذلك الجسم الغريب.

قال «بو عمير»: يبدو أنه صاروخ من صواريخ الأعماق!

لم يَعُد هناك وقتٌ للنوم؛ فقد وضح الآن أن الشياطين قد دخلوا معركة ما، دون أن يعرفوا، تساءل «باسم» هل تظنون أن هناك مَن يتبعنا؟

أجاب «أحمد»: أظن أن المسألة مسألة حياة أو موت. إن الوصول إلى «الصندوق الأسود» يعني أشياءَ كثيرةً، والتحرك في الليل، خصوصًا وأن اتجاهنا محدد، يعني أيضًا دخولنا معارك مع أطراف عديدة!

ابتسم «مصباح» وقال: قد يظنون أننا عصابة جديدة، تريد تحقيق شيء!

فجأة ظهر جسمٌ آخر على شاشة الرادار، وكان يبدو أنه على عمق بعيد، قال «أحمد»: ينبغي أن تهدئ السرعة ... إننا أمام شيء، مَن يدري لعله الصندوق!

بدأ «باسم» يهدئ السرعة.

مرة أخرى قال «أحمد»: أقترح أن ننزل إلى العمق بحثًا عن هذا الجسم الغريب!

أوقف «باسم» اللنش، ثم أخذ يغوص إلى الأعماق، كان الرادار يحدد موقع هذا الجسم على شاشته.

ظل اللنش يغوص حتى اقترب من الجسم، واستطاعوا أن يرَوه من خلال زجاج اللنش.

قال «أحمد»: أقترح أن يخرج بعضنا إليه!

سكت لحظةً، وكان الشياطين قد تحركوا، فقال: سوف أنزل أنا و«مصباح».

أسرعَا إلى منتصف اللنش حيث يوجد دولاب صغير لملابس الغوص، أبدلَا ثيابهما، ثم اتجهَا إلى مؤخرة اللنش، وضغط «أحمد» زرًّا فانفتح باب صغير. دخل «أحمد» حجرة صغيرة، فتبعه «مصباح»، ثم ضغط زرًّا آخر فأغلق الباب بإحكام. كانَا قد أصبحَا في حجرة صغيرة، هي حجرة الهواء، ضغَط «أحمد» زرًّا صغيرًا فانفتح باب الحجرة، وتدفَّق الماء بشدة، لكنَّ تيارًا هوائيًّا قويًّا كان يخرج من الحجرة فيدفعها إلى الخارج، لحظة وأصبح «أحمد» و«مصباح» في ماء المحيط، كان الجسم أمامهما مباشرة، فاتجهَا إليه، أضاء «أحمد» مصباحًا من مصابيح الأعماق، مثبتًا فوق الخوذة التي على رأسه، فتبين الجسم، لقد كان جناحَ طائرة.

أرسل رسالةً سريعة إلى الشياطين بالشفرة، كانت الرسالة: «١ – ٢٩ – ٢٥» وقفة «٢٥ – ٥ – ٢٥» وقفة «٢٤ – ٢٥» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٥ – ٢١ – ١٦ – ٢٧» وقفة «٢١»

انتهى. وكانت ترجمة الرسالة: «أين نحن من النقطة «ق»؟» وفي لحظةٍ جاء الرد شفريًّا أيضًا: «٢٥ – ٢ – ١٨ – ٨» وقفة «١٨ – ٢٥» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٥ – ٢٢ – ١٦ – ٢٧» وقفة «٢١» وقفة «٨ – ١٠ – ٥ – ٣ – ١ – ٢٥» انتهى. وكانت ترجمتها: «نبعد عن النقطة «ق» درجتين.» قال في نفسه: إذن نحن في محيط النقطة، ويمكن مع الانفجار أن يتطاير جسم الطائرة في كل مكان.

فجأة علَت الدهشةُ وجهَه؛ فقد ظهر من داخل جناح الطائرة رجلٌ!

وأخيرًا ... بدأت المعركة الأخيرة!

فكَّر «أحمد» بسرعة؛ هل يستخدم مسدس الماء؟ لكنه لم يُقدِم على ذلك؛ فقد قال في نفسه: إن الرجل إذا جُرِح فسوف يَصِل سَمَك القرش إلى المنطقة، وندخل في معارك أخرى! ولذلك فقد تقدَّم إليه. كان الرجل يبدو عملاقًا، لكن ذلك لم يكن يُرهب «أحمد». نظر إلى «مصباح» الذي فَهِم معنى هذه النظرة، فاندفع إلى الرجل كالسهم، ولكن امتلأ وجهُ «أحمد» بالفزع؛ فقد أبصر الرجل يُخرج خنجرًا ويصوِّبه إلى «مصباح»، إلا أن «مصباح» كان قد لمح الخنجر، فغيَّر اتجاهه بسرعة، في نفس الوقت كان قد سدَّد يمينًا مستقيمةً إلى الرجل، إلا أن الرجل لم يتأثر كثيرًا؛ فقد عاود الهجوم على «مصباح» والخنجر في يده!

عندئذٍ لم يقف «أحمد» متفرِّجًا؛ فقد أيقن أن الرجل قويٌّ بما يكفي، سَبَح في اتجاهه، بينما كان الرجل يتجه إلى «مصباح»؛ لذا أصبح ظهره إلى «أحمد»، في لمحة سريعة كان أحمد يُطوِّق عنق الرجل، رفع الرجل خنجره ليسدِّدَه إلى «أحمد»، إلا أن «أحمد» بحركة بارعة جعل الخنجر يتجه إلى خرطوم التنفس الممتد من أنبوبة الغاز فوق ظهر الرجل إلى الكمامة التي تغطي وجهه، فانقطع الخرطوم. حاول الرجل أن يقاوم لكنه لم يستطع، ولم يكن أمامه إلا أن يحاول الاتجاه إلى سطح الماء.

تركه «أحمد» لأنه يعرف أن المسافة بعيدة، وأن الرجل لن يستطيع الوصول إلى السطح بلا تنفس مهما كانت قدرته على الغوص.

في نفس الوقت كان «مصباح» قد اتجه إلى داخل جناح الطائرة. اقترب «أحمد» منه ووقف يرقب الموقف، فكَّر بسرعة: إن «الصندوق الأسود» لن يكون داخل الجناح أو الجسم، إنه مثبت في تابلوه الطائرة بين الأجهزة الكثيرة التي تُستخدم داخلها؛ ولهذا فإن البحث ينبغي أن يكون عن مقدمة الطائرة حيث توجد الكابينة. أرسل إشارةً ضوئية إلى «مصباح» الذي عاد سريعًا، فاتجهَا معًا إلى اللنش. كانت حجرة الهواء ما زالت مفتوحة، فدخلَا فيها

بسرعة، وعندما ضغط «أحمد» الزر انغلق الباب، ثم بدأت أجهزة خاصة تطرد المياه خارج الحجرة، حتى أصبحت فارغةً تمامًا، ضغط زرًّا آخر فانفتح الباب المؤدي إلى داخل اللنش، وعندما دخلَا أُغلق الباب مرةً أخرى، ظلَّ الاثنان بملابس الغوص استعدادًا للنزول مرةً أخرى.

قال «أحمد»: ينبغي أن ندور دورةً كاملة حول المكان، ويجب أن تكون الدائرة التي سوف ندور فيها واسعةً بقدر المستطاع، ثم تظل تصغر وتصغر حتى لا نترك مكانًا خارج دائرة البحث؛ فما دام جناح الطائرة هنا فإن هذا يعني أن جسم الطائرة ومقدمتها ليسَا بعيدَين.

في نفس الوقت الذي كان «أحمد» يتحدث، كان «باسم» قد بدأ في دورة البحث، غير أنهما فجأةً أبصرَا جسمًا يظهر على شاشة الرادار ويتجه نحوهما في سرعة.

قال «بو عمير»: إن الجسم الذي يتجه ناحيتنا ليس غواصةً أو لنشًا؛ إنه إحدى قذائف الماء.

وفي لمحةٍ ضغَط زرًّا في تابلوه اللنش، هو زرُّ الإطلاق، وعلى الشاشة ظهر صاروخٌ مائي، يخرج من لنش الشياطين في اتجاه الجسم الآخر. وفي دقائق كان الانفجار من القوة، بحيث إن لنش الشياطين اهتز بشدة، واختفى الجسم من على شاشة الرادار.

قال «خالد»: أظن أن مثل هذه الأجسام لا تتبع إحدى القوتَين الأعظم، إنها تابعةٌ لعصابة «سادة العالم»!

استمر الشياطين في دورتهم التي بدأَت تضيق أكثر فأكثر. فجأةً، كأن الدنيا قد أظلمت، كأن الليل قد أحاط بلنش الشياطين؛ فقد ظهرت أمامهم كتلةٌ سوداء ضخمة.

قال «أحمد»: أعتقد أنها مجموعةٌ من أسماك القرش!

ولم يكد ينتهي من جملته حتى تحققت نبوءَتُه؛ فقد كانت أسماك القرش الضخمة تتجه ناحية اللنش.

قال «خالد»: ينبغي تهدئة السرعة حتى لا يحدث شيءٌ.

ونفَّذ «باسم» اقتراح «خالد»، غير أن أسماك القرش كأنها تعمل لحساب العصابة؛ فقد أخذت تصطدم باللنش في عنف؛ ممَّا جعل اللنش يهتز بشدة.

فكَّر «أحمد» قليلًا، ثم قال: أَوقِف اللنش، وأطفئ الأنوار!

نفَّذ «باسم» ما قاله «أحمد»، فظلت القروش تدور حول اللنش بعض الوقت، ثم بدأت تنصرف في هدوء. مرَّت ربع ساعة، والشياطين في مكانهم، وعيونهم على شاشة الرادار. لم يكن يظهر شيءٌ …

قال «أحمد»: فلنبدأ السير ببطء.

تحرَّك اللنش مظلمًا، مرَّت نصف ساعة. فجأةً، رصد الرادار جسمًا ظلَّ الشياطين يرقبونه، كانت حركته في نفس سرعة اللنش.

قال «مصباح»: فلنتوقف قليلًا!

أوقف «باسم» اللنش، فتوقفت حركة الجسم.

قال «خالد»: يبدو أنه جسم ثابت، ينبغي أن نتجه إليه؛ فربما يكون أحدَ أجزاء الطائرة!

قال «بو عمير»: أو يكون أحد أفراد العصابة أو أحد أجهزتها!

اتجه «باسم» في اتجاه الجسم، كانوا يقتربون منه، فقال «أحمد»: أضِئِ المكان!

ضغط «باسم» زرًّا فتحولت ظلمة أعماق المحيط إلى نهار، وكاد الشياطين يهتفون؛ فقد تبيَّنوا أن الجسم هو مقدمة الطائرة. وبسرعة كان «أحمد» و«مصباح» يتحركان إلى مؤخرة اللنش، في اتجاه حجرة الهواء، ثم خرجَا إلى ماء المحيط، سبحَا معًا إلى مقدمة الطائرة، لكن فجأةً تحوَّل المكان إلى صورةٍ لم يتخيَّلها الشياطين، لقد ظهرت مجموعةٌ من الرجال بملابس الغوص ... توقف «أحمد» و«مصباح»، فكَّر «أحمد» بسرعة: إنها مجموعة كبيرة ... ولا بد من وجود الشياطين جميعًا ...

أرسل رسالةً إلى اللنش بالشفرة: ««١ – ٢٥ – ١٥ – ٢٤ – ٢٦ – ١» وقفة «١ – ٢٣ – ٢٩ – ٢٥ – ١» انتهى.» وكانت ترجمتها: «انضموا إلينا!»

وقبل أن يصل «أحمد» و«مصباح» إلى الرجال، كان بقية الشياطين يقتربون منهم. تفرَّق الرجال في شبه حدوة حصان، يحاولون أن يلتفُّوا حول الشياطين، لكن «أحمد» كان أسرع منهم، فقد أشار إلى الشياطين إشارةً سريعة، فامتدوا في صفٍّ واحدٍ أمامهم. فجأةً، خرجت شوكةٌ طويلة من الصلب كان يحملها أحد الرجال في اتجاه «أحمد»، الذي كان يتوسط الشياطين، لكن «أحمد» غيَّر مكانه بسرعة فمرت الشوكة بجواره. أصبح واضحًا أن هناك معركةً حامية. وكان الوقوف يعطي الرجالَ فرصةً أحسن؛ ولذلك تقدَّم «أحمد» في شكل رأس حربة، في نفس الوقت الذي اقترب بقية الشياطين من أطراف حدوة الحصان.

اشتبك «باسم» بسرعة مع أقربِ رجلٍ له، فلكمَه لكمة قوية، جعلت الرجل يبتعد عنه. وكانت هذه مقدمة للمعركة. أخرج «أحمد» مسدسه المائي، ثم ضرب الرجل الذي اشتبك معه بكعب المسدس ضربةً قوية، جعلت الرجلَ يئن، سدَّد له ضربةً أخرى قوية حتى إن الرجل تهاوى إلى القاع. كانت المعركة تدور والجميع يسبحون، ووضح أن الشياطين قد

سيطروا على الموقف تمامًا؛ فقد تهاوى بعض الرجال إلى القاع، والبعض الآخر قد بدأ يسبح بعيدًا، غير أن «خالد» لمح أحدَهم يختفي خلف مقدمة الطائرة، أسرع نحوه في حذرٍ، فجأةً لم يرَه، إلا أنه عندما وصل إلى مكانه لمحه يشقُّ الماء بعيدًا، وقد ضم يده على الصندوق.

نظر إلى الشياطين وأشار إليهم، ثم انطلق خلف الرجل. أشار «أحمد» إلى «باسم» و«مصباح» بأن يعودَا إلى اللنش، ويتبعاهم. في نفس الوقت، تقدم «بو عمير» خلف «خالد» الذي كان يُتابع الرجل. فكر «أحمد» أن يستخدم مسدس الماء لكي يُطلقَه على حامل الصندوق، لكنه تراجع حتى لا يفتحَ معارك جديدة مع وحوش الماء. ظلت المطاردة، كان «خالد» يقترب من الرجل. فجأةً بدأ الرجل يصعد إلى السطح، فهم «خالد» أن هناك مَن ينتظره في هذه النقطة، أسرع يصعد خلفه، وتَبِعه «أحمد» و«بو عمير» ... وعندما وصل الرجل إلى سطح الماء، لم يكن بينه وبين «خالد» سوى أمتار قليلة. فجأة، رأى «خالد» كتلةً سوداء فوق سطح الماء، فأيقن أن ما فكَّر فيه كان صحيحًا.

كان الرجل يسبح في قوة، لكن «خالد» كان أسرعَ منه. وعندما مدَّ يده ليُمسكَ به ضربَه الرجل بقدمِه ضربةً قوية جعلَته يغوص من جديد، إلا أن أحمد كان قد اقترب منه، في نفس اللحظة التي كان الرجل قد أمسك بمؤخرة قارب صغير. وعندما سدَّد له «أحمد» ضربةً قوية كان ثقلٌ غريب قد سقط فوق «أحمد»، كان أحدهم قد ألقى بنفسه فوق «أحمد»، فنزل عليه كالصاعقة، إلا أن «بو عمير» تلقَّى الرجل وضربَه بقوة جعلت الرجل يغوص في الماء. في نفس الوقت كان القارب قد تحرَّك من مكانه، بعد أن صعد إليه الرجل. لقد انتقلت المعركة من الماء إلى القارب. نظر «أحمد» حوله، كان لنش الشياطين بجوارهم، وقد طفَا على السطح، قفز الشياطين إليه، وبدأت المطاردة. كان القارب يشقُّ الماء بقوة حتى إن «أحمد» قال: إن قوة الموتور في القارب كبيرة. غير أن لنش الشياطين الصاروخي كان أكبرَ سرعة؛ فقد لحق بالقارب، إلا أن القارب دار دورةً مفاجئة، جعلت لنش الشياطين يبتعد. استمر القارب في سرعته، ثم فجأةً دوَّت طلقةٌ في الفضاء، ثم تلَتها طلقات كالمطر. لم يكن ذلك يدفع الشياطين إلى استخدام النيران ضدهم، إن مهمتهم الآن أن يحافظوا على القارب حتى يحصلوا على الصندوق. في نفس الوقت كان قارب الشياطين مصنوعًا من مادة ضد الرصاص والحريق؛ ولذلك تقدَّم اللنش بأقصى سرعة ممكنة. ولما وجد رجال العصابة أن الرصاص لا يؤثر فيه، توقَّفوا عن إطلاقه، وبدأت المطاردة بين اللنش والقارب.

قال «أحمد»: إنهم ينتظرون خروجَ أحدِنا ليصيبوه، لكن الذي أفكر فيه هو أن يفرغ الوقود من القارب، فلا يكون في النهاية سوى الاستسلام.

فجأةً، لمع ضوءٌ سريع في الأفق ثم اختفى. وبعد لحظة ردَّ القارب بضوء آخر.

قال «بو عمير»: إنها إشارات متبادلة بين القارب وبين نقطة هناك، قد تكون فوق جزر «كازان»، أو تكون إحدى البواخر في عرض المحيط.

قال «أحمد»: هذا صحيح.

بدأ «باسم» يدور حول القارب؛ فالسرعة بين الاثنين لم تكن مناسبة؛ ولذلك فإن اللنش كان يملك قدرة المناورة. فجأةً، لمع فوق سطح الماء جسمٌ مستطيل، كان يقترب من اللنش في قوة، وسجلت شاشة الرادار هذا الجسم بسرعة، فضغط «باسم» زرَّ الإطلاق فاندفع صاروخ مائي، ففجَّر الجسم المقبل، طالت المطاردة دون أن ينفد وقود القارب.

فقال «بو عمير»: لعله يتحرك بوقودٍ ذرِّيٍّ.

فجأةً ... ظهرَت باخرة في عرض المحيط، اتجه إليها القارب في سرعة، وكانت هذه هي المعركة الأخيرة ...

الصراع الأخير مع سمك القرش!

قال «باسم»: هل أفجِّرُ القاربَ؟!

ردَّ «أحمد» بسرعة: إن تفجيره سوف يُوقعنا في مشكلة جديدة، هي البحث عن الصندوق، وهو أمامنا الآن!

قال «بو عمير»: أقترح أن نُصيبَ القارب نفسه، وليكن ذلك بإحداثِ صدمة قوية، في نفس الوقت الذي نكون مستعدين للاشتباك مع مَن فيه.

لم يردَّ أحدٌ على الاقتراح؛ فقد كان يحتاج إلى بعض التفكير، فالاصطدام بالقارب قد يكون سببًا في ظهور مشاكل جديدة. خلال ذلك كلِّه كانت المطاردة مستمرة. في نفس الوقت كان اللنش يقترب من الباخرة.

قال «أحمد»: إنني أقترح خطة أخرى، سوف نقوم بدورة واسعة حول الباخرة، في نفس الوقت سوف ننزل إلى المحيط عن طريق حجرة الهواء، ويتم السيطرة على اللنش عن طريق جهاز التوجيه الذي يحمله «باسم» معه، وننقل المعركة إلى ظهر الباخرة. سكت لحظةً ثم أكمل كلامه: في نفس الوقت يجب أن نصل إلى الباخرة بسرعة، وهذه مسألة لن تكون صعبة.

مرَّت لحظةُ صمتٍ، كان خلالها «باسم» قد بدأ يُنفِّذ اقتراح «أحمد». وفي لحظة ودون أن يُجيبَ أحد على الاقتراح، كان الشياطين قد انصرفوا إلى حجرة الهواء. ابتسم «أحمد» ثم أخذ طريقَه إليهم، بينما كان «باسم» يقوم بضبط أجهزة التوجيه، وأسرع خلفهم. كان القارب قد اقترب تمامًا من الباخرة، في الوقت الذي كان الشياطين قد أصبحوا فعلًا في عمق المحيط، بينما اللنش يأخذ اتجاهًا مخالفًا، بعيدًا عن الباخرة. وبسرعة كان الشياطين يقطعون المسافة بين مكانهم والباخرة، بحيث كانوا تحتها مباشرة، بينما كان سُلَّمٌ طويل قد نزل منها إلى القارب، فتسلَّق مَن فيه إلى ظهرها. في الجانب الآخر من الباخرة كان

الشياطين يتسلقون، وعندما أصبحوا فوقها سمعوا مَن يقول: أرسل إشارةً إلى الزعيم بأن كلَّ شيءٍ قد انتهى!

تقدَّم الشياطين في هدوء، بعد أن خلعوا ملابس الغوص، ووقعَت أعينهم على مجموعة كبيرة من الرجال تقف حول أحدهم. وتحت ضوء قليل ظهر الرجل الذي يبدو أنه قائدهم.

فهمس «بو عمير»: إنه رجل الفندق!

قال «خالد»: تقصد «جاك بيلي»؟

ردَّ «بو عمير»: لا، إنه الرجل الذي تبعناه أنا و«باسم»!

فكر «أحمد» بسرعة، ثم قال: استعدوا، سوف نبدأ المعركة!

أخرج خنجرَه، ثم ألقى به في قوة عند مقدمة الباخرة، فأحدث صوتًا مُدويًا. التفت الرجال في خوف، وقال قائدهم: ما هذا، هل هناك شيء؟

أسرع بعضهم في اتجاه الصوت، فقال «أحمد»: هذه فرصتنا!

وفي لمح البصر كانوا يقفزون في خفة في اتجاه المجموعة الأخرى. قفز «أحمد» في الهواء، وقد فتح رجلَيه فضرب بهما اثنين، وفي نفس الوقت الذي كان «خالد» قد دار حول نفسه وهو يضرب الأول بقدم، ثم ضرب الثاني بقدم أخرى، أما «بو عمير» فقد اتجه مباشرةً إلى قائدهم الذي حاول أن يهرب، فضربه ضربة قوية بقدمه، جعلَته يسقط على الأرض، بينما كان «باسم» و«مصباح» قد اشتبك كلٌّ منهما مع اثنين معًا.

وعندما أوشك الشياطين على كسب المعركة، كان الآخرون قد عادوا، فبدأت المعركة من جديد، رفع «أحمد» أحدَهم، ثم دار به في قوة، وألقى به نحو القادمين، فسقط ثلاثة منهم. قفز «خالد» في اتجاه الثلاثة، وقبل أن يقف أيٌّ واحدٍ منهم كان قد جذب حبلًا واستعد. وعندما وقف أولهم، كان الحبل يطير في الهواء، ثم يلتف حول جسمه، جذبه «خالد» بقوة، فاندفع الرجل في اتجاه «خالد» الذي لقيه بيمين مستقيمة، جعلت الرجل يتراجع بسرعة، ويصطدم بحافة السطح، ثم يسقط في الماء. في نفس اللحظة كان الآخر قد قفز في الهواء، ليضرب «خالد»، إلا أن «باسم» الذي كان قريبًا منه أسرع بضربة خطافية، جعلَته يطير في الهواء، وقبل أن يسقط على الأرض، كان قد تلقَّاه بين ذراعَيه ثم ألقى به في الماء.

نظر «باسم» خلفه، فرأى «مصباح» وقد أمسك عنقَ أحدِ أفراد العصابة، إلا أن آخر كان يرفع عمودًا حديديًّا لينزل به على «مصباح»، طار «باسم» في الهواء وتعلق بطرف العمود فأفلت من يد الرجل، نظر «باسم» إلى الرجل الذي وقف مذعورًا، ثم قفز في الماء فجأةً، لم يكن أحدٌ فوق سطح الباخرة سوى الشياطين.

قال «أحمد»: أين «الصندوق الأسود» الآن؟!

ردَّ «مصباح»: يجب أن ننزل إلى تحت!

أسرعوا يتقدمهم «أحمد» إلى أسفل الباخرة، وما إن نزلوا عدةَ درجاتٍ في السلم الحديدي المؤدي إلى قمرات الباخرة، حتى ظهر عمال الماكينات، كانوا ثمانية.

قال «أحمد»: ينبغي أن تستسلموا بدلًا من أن تفقدوا حياتكم!

وقبل أن يردَّ أولهم، كان الأخير قد سدَّد خنجرًا كالسهم إلى «أحمد»، الذي دفع «باسم»، وكان يقف خلفه مباشرةً، بينما غيَّر اتجاهَه، فمسع صوت الخنجر وهو يصطدم بحديد الباخرة، فيُصدر صوتًا كالرنين، وبدأت معركة أخرى، إلا أن «أحمد» كان قد فكر بسرعة؛ إن الرجل الذي انصرف من البداية ليُرسل إشارة لزعيمهم لم يَعُد، ويبدو أنه هو الذي يحمل «الصندوق الأسود!»

بسرعة ترك المعركة ليبحث عن غرفة الاتصالات، لكنه لم يكد يقفز قفزةً واحدة حتى كان أحدهم قد هبط فوقه كالجبل، ليسقط الاثنان على الأرض، إلا أن «أحمد» كان أسرع منه؛ فقد قفز واقفًا وهو يسدد ضربةً قوية بقدمِه إلى الرجل، فاصطدم رأسُه بالسلم، وسكت بلا حَراك، أسرع إلى داخل الممر الطويل، ووقف عند أول «قمرة» — حجرة صغيرة — ونظر داخلها، فلم يجد أحدًا، أسرع إلى غيرها وغيرها.

ثم فجأةً سَمِع صوتًا يقول: سوف أبلغ القائد «بروك»، نعم. وضع في الخزانة الرئيسية، أمرك يا سيدي!

وقف «أحمد» عند الباب، في انتظار انصراف الرجل، انتهى الآخر من كلامه وعاد، وقف عند الباب وهو يهمس: إن المكافأة قد ارتفعت إلى عشرة أضعاف!

ضحك ضحكةً قصيرة، ثم خطَا إلى الخارج، إلا أن «أحمد» كان أسرعَ إليه، فقد أمسك بذراعه في قوة ولواها، فصرخ الرجل، دفعه «أحمد» إلى الداخل، ثم أغلق الباب، لكمَه لكمةً قوية جعلَته يتراجع بشدة، ثم يصطدم بأحد المقاعد، ويسقط على الأرض، قفز «أحمد» خلفه حتى وقف عند رأسه، ثم قال: أين الصندوق؟

أجاب الرجل: أيُّ صندوق؟!

ضربه «أحمد» بقدمه ضربةً قوية، فصرخ فأعاد عليه السؤال: أين الصندوق؟!

تردد الرجل لحظةً، ثم قال: في الخزانة الرئيسية!

سأل: وأين هي؟

أجاب: في المقدمة!

جذبه «أحمد» بقوة، وهو يقول: أمامي إلى هناك!

مشى الرجل في بطء، لكنه فجأةً قفز، إلا أن «أحمد» كان يقظًا تمامًا؛ فقد طار خلفه قبل أن يخرج من الباب، وضربه بقبضة يده، وترنَّح الرجل وسقط خارج الباب الذي أُغلِقَ في نفس اللحظة، أسرع «أحمد» يفتح الباب وقفز خارجًا، غير أنه لم يجد الرجل، وقف لحظةً ينظر حوله فلم يجد أثرًا له، أسرع يُغلق الباب ثم أخذ المفتاح وقفز إلى سطح السفينة، وكانت المعركة قد انتهت، ووقف الشياطين ينتظرون عودته.

قال: ألم يظهر أحد هنا؟

نظروا له في دهشة، وسأل «خالد»: ماذا تقصد؟

قال «أحمد»: لقد هرب مَن يعرف مكان الصندوق!

علَت الدهشةُ وجهَ الشياطين، إلا أن «أحمد» قال: إنه موجود في الخزينة الرئيسية، وهي تقع في مقدمة الباخرة.

لم يتحرك أحدٌ من الشياطين، فقال «أحمد»: «مصباح» و«بو عمير» يقومان بالبحث عن الخزانة الرئيسية، «باسم» و«خالد» يقومان بعمليةِ مسحٍ للباخرة كلها بحثًا عنه، وسوف أراقب المكان.

انصرف الشياطين، فكر «أحمد»؛ أين يمكن أن يذهب الآن؟ إنه لا يملك وسيلةَ اتصالٍ حتى يتصل بزعيم العصابة، إن أمامه حلًّا واحدًا أن يأخذ الصندوق ويهرب؛ فالقارب لا يزال واقفًا أسفل الباخرة، خصوصًا وأنه كان يتحدث عن مكافأة مضاعفة، أسرع في اتجاه القارب حتى وقف عنده، كان القارب يبدو بعيدًا فوق سطح الماء، بينما الباخرة مرتفعة كثيرًا، ظلَّ يرقب القارب، علَّه يتحرك، فكر لحظة؛ قد ينزل إلى الماء، ثم يسبح إلى القارب، ويسحبه بعيدًا، ثم يهرب به. كان الصمت يلفُّ كلَّ شيء، وكان الظلام قبل الفجر يبدو حالكَ السواد.

فجأةً، سَمِع صوتَ انزلاق شيء في الماء، ركَّز سَمْعَه أكثر، لكن الصمت عاد من جديد، قال في نفسه: لعله هو، ولعله يسبح الآن تحت سطح الماء، حتى لا يُحدث صوتًا. فجأةً، بدأ يسمع تلاطم الأمواج، واصطدامها بجسم السفينة، فكر؛ هل يكون هو؟ أخرج مصباحًا صغيرًا من جيبه، ثم أضاء به سطح الماء، ثم علَت الدهشةُ وجهَه، لقد كانت سمكةَ قرشٍ ضخمة تعوم حول السفينة، بدأ القلق يسيطر عليه، إن الرجل إذا ظهر الآن، فسوف تأكله سمكة القرش، وساعتها سوف يضيع كلُّ شيء، ابتعدت السمكة قليلًا، فجأة تحرك القارب، ظل يتتبعه في حركته، فقد أيقن الآن أن الرجل هو الذي يسحب القارب بعيدًا عن السفينة، لكنه كان يسحبه في اتجاه سمكة القرش، كان عليه أن يُنقذ الرجل الآن وبسرعة، فهو يمثِّل للشياطين الأملَ الوحيد في العثور على «الصندوق الأسود».

فجأةً، بدأت السمكة تظهر من جديد، وضع يده في جيبه يتحسس زجاجة صغيرة، ظهرت رأسُ الرجل بجوار القارب الذي ابتعد الآن عن السفينة، في نفس الوقت كانت سمكة القرش تتحرك في هدوء في اتجاه القارب، لم يكن هناك وقت يمكن أن ينتظره، قفز إلى حاجز السفينة، وكالفراشة طار في الهواء في اتجاه مياه المحيط، وعندما غاص في الماء، اندفعت سمكة القرش في اتجاهه، تحفز لها، في نفس الوقت الذي أخرج الزجاجة الصغيرة، وفتحها ثم صب بعضَ ما فيها في الماء، فانتشر بسرعة، ولم تمضِ لحظات حتى كانت سمكة القرش قد ولَّت هاربة.

ألقى نظرةً سريعة على اللنش، فرأى الرجل يقفز داخله، أسرع بإرسال رسالةٍ إلى الشياطين يطلب اللنش، وكان القارب قد بدأ يسير، لكنه لم يكد يبتعد حتى كان اللنش يقترب منه، وعندما توقَّف أمامه، قفز داخله بسرعة، ثم انطلق به في اتجاه القارب، لم تمضِ دقائق حتى كان قد جاور القارب، ظل يقترب حتى توازى معه تمامًا، ثم ضغط زرًّا في التابلوه فانطلق عمود من الدخان يغطي المكان، وفي سرعة البرق كان قد خرج من اللنش، وقفز قفزةً سريعة إلى القارب، لم يكن الرجل يرى شيئًا، فقد انتشر الدخان، وصنع حاجزًا يُخفي «أحمد»، وقف الرجل ينظر إلى «أحمد» في ذهول دون أن يتحرك، فهو لم يكن يدري ماذا حدث، كان الصندوق الصغير الحجم في يد الرجل.

ابتسم «أحمد» وقال: لا بأس، أعطني الصندوق.

كان «أحمد» يتوقع أيَّ حركة؛ ولذلك فقبل أن يفكر الرجل في شيء كان «أحمد» قد ضربه لكمةً سريعة أفقدَته رشده، وبسرعة استولى على الصندوق، أرسل رسالةً سريعة إلى الشياطين يُخبرهم أن المغامرة قد نجحت، انقشع الدخان وظهر اللنش، أوثق «أحمد» يدَي الرجل، ثم جذبه خلفه حتى نقله إلى اللنش، ثم اتجه به إلى الشياطين، وعندما توقَّف بجوار السفينة نزل الواحد بعد الآخر، حتى استقروا في اللنش، وانطلقوا به في طريق العودة.

كان ضوء الفجر قد بدأ، لكن بعد عدة كيلومترات اعترضهم لنشٌ حربي، توقفوا وخرج «أحمد»، كان أحد الضباط الأمريكيين يقف في مقدمة اللنش، وتحدث إلى «أحمد» الذي قال إنهم يتبعون البحرية اليابانية.

نظر له الضابط مبتسمًا وقال: لا يبدو ذلك!

بسرعة قدم «أحمد» أوراقه إلى الضابط الذي اعتذر، فانطلق اللنش من جديد، غير أن نفس الموقف تكرر مرةً أخرى، فقد اعترضهم مركب صيد، وعرف «أحمد» أنهم من رجال البحرية السوفييتية، حيَّاهم وانطلق من جديد.

عندما عادوا إلى شاطئ «نجاساكي» كان العميل في انتظارهم، وعندما انتقلوا إلى الفندق كان ما يحويه الصندوق قد أصبح عند رقم «صفر»، الذي أرسل إليهم رسالة يتمنى لهم إجازة طيبة. بعد الانتصار الذي حققوه، فقد أثبت الشريط المسجل داخل الصندوق أن عصابة «سادة العالم» هي التي فجَّرت الطائرة، وأن نُسَخًا من الشريط سوف تُسلَّم للقوتَين الأعظم، ولعدد من أعضاء مجلس الأمن الدولي.

وعندما وصلت هذه الرسالة كان الشياطين قد أبدلوا ثيابهم …

فقال «أحمد»: إنني في حاجة إلى النوم العميق!

ضحك «باسم» وقال: خصوصًا وأن «جاك بيلي» في انتظارنا!

وكان هذا يعني أن مغامرةً جديدة في انتظار الشياطين، داخل فندق السلام.

هنـــداوي